المنار

١٣١٥

فخر بلدي اليمن بتمور القول فيثمر اعمالا
أولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب

تقي الملك من يشاء ومن يؤت الملك فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر ـ صلخ المحرم ١٣٣٠ هـ ق ـ ٢٩ الشتاء الأول ١٢٩١ هـ ش ٣ يناير ١٩١٢ م ﴾

فاتحة المجلد الخامس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم وانت ولي الحمد ، والهادي الى سبيل الرشد ، ولك الأمر من قبل ومن بعد ، لكل شيء عندك قدر ، ولكل قدر أجل ، ولكل اجل كتاب . يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب)

ونصلي ونسلم على محمد نبيك المصطفى ، ورسولك المجتبى ، الذي ارسلته كافة للناس بشيراً ونذيراً ، وداعياً الى الله باذنه وسراجا منيراً ، وآتيته

الحكمة وفصل الخطاب ، وأنزلت في محكم الكتاب (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)

(وبعد) ، فقد دخل المنار في هذا العام في السنة الخامسة عشرة من عمره وهي سن بلوغ الحلم الغالب في الانسان ، وبدء الرشد في عرف شريعة الاسلام ، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا فيه رشدنا ، ويبلغنا قصدنا ، وينفعنا بما نطلبه في هذه الفواتح من نصح الناصحين ، ونقد الناقدين ، ومن آيات الفوز والرشاد : أن وفقنا عز شأنه للشروع على رأس هذه السنة في تنفيذ نظام مدرسة (دار الدعوة والارشاد) التي نرجو أن تكون خير ما انشىء في البلاد ، لاصلاح ما استشرى من الفساد ،

قطع المنار هذا الطور الاول من حياته وحده ، فدرج درجان الطفل غادر مهده ، الى أن بلغ رشده ، فلا أخذ بيده أمير ، ولا أعانه وزير ، ولا أمده غني كبير ، اللهم الا ان مصطفى رياض باشا (تغمده الله برحمته) وكان نسيج وحده في كبراء هذه البلاد ، في اعانة الصحف ومساعدة أرباب الاقلام ، وكذا سائر مايعتقد نفعه من الاعمال ، ارسل الي مرة قيمة الاشتراك مضاعفة اضعافا ، فقلت لرسوله اني لا أقبل من أحد مالا لا مقابل له مني ، فعاد اليه بها فاشترك بعدذلك بعشر نسخ من المنار ثم جعلها خمس عشرة نسخة ، وجعلها نجله محمود باشا من الباقيات الصالحات له ، واني أعلم كما يعلم كثير من الناس ، أن المنار لو صدر على عهد وزارة رياض ، للامن مساعدته بنفوذه ، أضعاف مالقي من مقاومة غيره ، فانه كان مغرما به ، كثير الذكر له والثناء عليه في مجالسه ، وكان مثل هذا أمرا مفعولا في عهد وزارته ،

واذا كان رياض باشا قد حسن قوله في المنار وعمله ، فالي لا أذكر بالخير من حسن قوله ونيته بذلك ابراهيم باشا فؤاد الذي كان ناظر المعارف رحمه الله تعالى ، كان يرى ان المنار أنفع الصحف للمسلمين ، ويود لو يعم انتشاره بين طلاب العلوم وجميع الطبقات ، وقد سمعت منه منذ السنة الاولى مايدل على رأيه هذا ، واخبرني بمثل ذلك عنه احمد فتحي زغلول باشا ، وقال انه ذاكره في وضع مشروع لتوزيع المنار على طلاب العلم والفقراء من القراء بثمن قليل جدا لا يثقل على أحد منهم او جعل ثمنه قليلا لكل قارئ بجمع مال بالاكتتاب يرصد لذلك . فكر رحمه الله تعالى في ذلك وقدر ، وذاكر وشاور ، ثم لم يعمل شيئا ، فجزاه الله على نيته خيرا

اشرت في فواتح السنين الماضية الى ما كان يلقى المنار من المقاومة والمعارضة ، والمناصبة والمناهضة ، وذكرت في بعضها شيئاً من تاريخه الاصلاحي والسياسي ، وأحببت ان أذكر في فاتحة هذه السنة ما فيه العبرة من تاريخه المالي ، إذ يظن بعض الناس أنه أصاب كفلا من المساعدة والامداد ، المعتاد مثله في هذه البلاد ، فلم أجد فيه الا ما ذكرته لرياض باشا من قول وعمل ، ولابراهيم باشا فؤاد من قول ونية ، ورياض باشا هو الذي اخذ بأيدي أصحاب الصحف الكبرى عصر في أيام وزارته ، سواء كانوا من نصارى السوريين ، أو القبط أو المسلمين ، فهو صاحب الفضل الأول على الاهرام والمقتطف وجريدتي الوطن فالمؤيد ، ساعد هذه الصحف مساعدة الوزير النافذة إرادته ، المسموعة كلمته ، المطاع أمره واشارته ، الطويل باعه المبسوطة يده ، فمساعدته للمنار لا تقرن بمساعدته لتلك الصحف ، وانما أقول هذا مزيداً في تكبيره في نفسه ، وتميزه

بين ابناء جنسه ، لا لتصغير مسروقه والتقصير في شكره

لعله لولا مثل تلك الموازرة لما نبتت تلك الصحف في أرضنا نباتاً حسناً ، ولما استغلظ ناتها واستوى على سوقه ، ولما أينعت ثمرتها وآتت اكلها ، ذلك بأن الجهل وضعف الاخلاق وفساد نظام الاجتماع جعل بلادنا كالأرض السبخة ، لا تنمو فيها شجرة العلم الا بعناية خاصة من الخاصة ، وها نحن أولاء قد تعودنا قراءة الصحف اليومية عشرات من السنين ، وصرنا نعدها من حاجات الحضارة والمدنية ، ولكن هيأتنا الاجتماعية لا تزال قاصرة او مقصرة في القيام بما يجب من حقها ، لما ذكرنا من ضعف النفوس ومرض الاخلاق فيها ، حتى إن كثيرين من رجال الطبقة العالية فينا كالمدرسين والمؤلفين والقضاة يعطلون ويسوفون فيما يجب عليهم من اشتراك الجريدة او المجلة ، ومنهم من يهضم هذا الحق ويستحل أكله ، ومن الوقائع القريبة في ذلك أن بعض المعروفين بشرف النسب والثروة والعلم والتأليف قال لوكيل المجلة بعد ان ارجأه طويلا انني لا ادفع قيمة الاشتراك لانني من العلماء ! ! فاذا كان أكل اموال الناس بالباطل ، مما يجهر به الشريف الغني العالم ، ويعده من ثمرات العلم ومزايا العلماء ، فمن تنتظر الوفاء ؟ دع التعاون على المصالح العامة والاصلاح ، لا أقول تقطعت من هذه الأمة جميع اسباب الوفاء والتعاون ، وانبتت سائر حبال التكافل والتضامن ، وانما أقول ان ذلك قد قل فيها وضعف ، على نحو ما اصف ، وكان من أثره ضياع ملكها ، وهو ان امرها ، وهذا ما نعني بعلاجه ، ونسعى لتلافيه ، ووالله لو كان هذا المنار يراد للكسب ، لما بلغ سن الرشد ، الخير والكمال للمرء ان يعمل باستقلاله ، وان لا يكون لأحد

عليه فضل ولا منة ، بأن لا يأخذ منه مالا بغير مقابل ولا جزاء لمنفعته الخاصة ، وان كان يستعين به على المصلحة العامة ، وأما قبول المال لانفاقه في صالح الاعمال ، فهو لا ينافي الفضيلة والكمال ، كأن يشترك مريد الاعانة المالية للصحف الدورية ، او الكتب العلمية ، بنسخ من الكتاب ، توزع على من شاء هو أو شاء المؤلف من القراء ، كما قبلنا اشتراك المرحوم رياض باشا بخمس عشرة نسخة من المنار ، واشتراك ذلك المحسن المستتر في العام الماضي بست نسخ منه ، واشتراك (مولوي محمد انشاء الله) صاحب جريدة (وطن) في مدينة (لاهور) بمئة نسخة من كل جزء يصدر من تفسير المنار ، توزع على خطباء المساجد في بعض الاقطار ، وكان اقترح علينا هذا الفاضل ان يجعل لنا راتبا شهريا مدة الاشتغال باتمام التفسير ، بشرط اتمامه في زمن قريب ، فلم نقبل هذا منه ، لانه جزاء على عمل نعمله لله عز وجل ، لا ترويج له كالاشتراك ، ولنا بذلك اسوة بنبينا صلى الله عليه وسلم ، وصاحبه الصديق الاكبر ، فقد ورد أن ابا بكر رضي الله عنه قد انفق جميع ماله في سبيل الله ورسوله ، وورد ان النبي (ص) لم يقبل منه الراحلة يوم الهجرة الا بثمنها ، وورد أن أبا بكر لم يسأل النبي (ص) لنفسه شيئاً قط ، وانما قبل النبي (ص) ماله لانفاقه في نشر دعوة الاسلام لا لنفسه . وقد كان صلى الله عليه وسلم يحتاج الى النفقة على أهله احيانا فيقترض من اليهود ، وكان يجزي على الهدية ، ولا يقبل الصدقة ألبتة ، لان الله كرمه بتحريمها عليه وعلى أهل بيته ليكونوا قدوة للناس بعزة النفس ورفعتها

تلك هي الفضيلة وذلك هو الكمال ، ولمثل هذا هدانا الاسلام ، ولكن العمل بما دون هذه الدرجة العليا من الكمال الاسلامي صار عسرا

جدا لقلة المواتي والمشارك فيه ، والمعين عليه ، وأما ارتقاء تلك الدرجة ، بل العروج الى تلك الذروة ، فأوشك ان يكون من خوارق العادات ، التي قد ينالها بعض أهل العزلة والانفراد ، دون أصحاب الاعمال العامة التي تصلح بها أحوال الناس ،

علمنا من كتاب الله تعالى ومن الاختبار المصدق له ، أن الناس ازواج ثلاثة في كل شأن ، كما كانوا في كتاب الله عز وجل « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير » وانما تسعد الامم وتشقى بحسب النسبة العددية في كثرة هذه الازواج وقلتها . فالامة التي يكثر فيها الظالمون لانفسهم [1] بترك مايجب عليهم ، ويقل المقتصدون ، الذين هم للحقوق يؤدون ، فلا يلوون ولا يعطلون ، وينذر أو يفقد السابقون بالخيرات ، الذين لا يقفون عند حدود اداء الواجبات ، بل يزيدون عليها ماشاء الله من النوافل والتبرعات ، وينهضون بالمصالح العامة ، ويقومون بالمنافع المشتركة ، فتلك هي الامة التي يتهدم بناء مجدها ، ويزول عزها وملكها ، وتصير مستعبدة لغيرها ، وتخسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين

وأما الامة التي يقل فيها الظالمون ، ويكثر فيها المقتصدون ، ويكون زعماؤها والقائمون بمصالحها ، من السابقين بالخيرات ، المتعاونين على أتم الاعمال ، فتلك هي الامة التي ترث الارض ، وتستتم بنعمة السيادة

---

(١) ان الذي يمنع الحق الذي عليه للناس يكون أشد ظلما لنفسه ممن يمنع حق الله ، لان الله لا يفقر له حقوق عباده ، ولانه يكون قدوة سيئة ومغريا لغيره بظلمه

والملك ، وتتسابق مع من يشاركها في صفاتها الى غايات المجد المؤثل . ويكون السبق للامثل فالامثل

نحن ولا كفران لله من المتخلفين المقصرين ، وقد سبقتنا الامم كلها بعد أن كنا نحن المقتصدين والسابقين ، والظالمون لانفسهم وامتهم منا فريقان : فريق يجهلون عنه ماجهلوا أو تركوا من هدي الدين ، وهو ما عمل به سلفهم فكانوا هم الامة الوارثين ، ويحاولون ان يقطعوا هذه الامة أمما ، ويسلكوا بها الى المدنية طرائق قددا ، وهم ماعرفوا حقيقة المدنية الفاضلة وكنهها ، ولا مايصلح للمسلمين ويتفق مع طبائعهم منها ، ولكنهم في طلب قشورها مقلدون ، هذا تركي يقول يجب ان تكون السيادة والسلطة للترك ، وهذا عربي يقول اذا لم تكن المساواة فالعرب أولى بالملك ، وهذا مصري يقول مصريون قبل كل شيء ، وهذا فارسي يقول انا فارسيون قبل كل شيء ، والامم الطامعة من ورائهم تقول أنكم مسودون قبل كل شيء ، ومستعبدون بعد كل شيء ، لانكم لستم شيئا ، فأولئك هم المتفرنجون ، الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ، (واذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ، الا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون)

ومن دونهم في الجناية على الامة ، واطالة اجل الغمة ، فريق آخرون ، لايسيرون بالناس ولا يدعونهم يسيرون ، وهؤلاء هم الذين يدعون أهل الجمود ، الذين رزئوا بالخمول او القنوط ، ويتذرون بقرب الساعة وفساد الزمان ، وخروج الاصلاح من محيط الامكان ، وفسوق أرباب الملك والسلطان ، وانك لتجدهم على مالبسوا من ثياب الدين ، أذلة على المفسدين والظالمين ، أعزة على الصالحين المصلحين ، فهم يجذبون الامة من ورائها

لتصبر على المكث في جحر الضب ، كلما جذبها أولئك من أمامها لتخرج الى باحة الفسق ، يضيقون على الامة دنياها ، ويعجزون ان يحفظوا عليها دينها ، ذلك بأنهم في دينهم من المقلدين ، فلا يستطيعون إقامة حجته على المستقلين ، ولا دفع الشبهات التي ترد عليه من المعارضين ، وقد وعد الله بنصر من ينصره وما هم بمنصورين ، وكتب الغلب لحزبه وما هم بغالبين ، ونراهم قد غلب عليهم الذل « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »

هذه حالنا التي تنذر امتنا سوء مغبتها في كل عام ، فيمارون بالنذر ويتمارون في الآثام ، ويزدادون في التفرق والانقسام ، الى ان شعروا بزوال ملكهم في هذه الايام ، صكت سمعهم صيحة سقوط الدولتين اللتين لهم في الشرق والغرب ، وتلتها صيحة الدولة العلية وهي في مكان القلب ، فعسى ان يكون الوقر قد زال من اسماعهم ، والغشاوة قد انقشعت عن ابصارهم ، والرين قد انكشف عن قلوبهم ، وأن يدركوا بعد هذا كله أن المصلحين فيهم هم الامة الوسط ، التي تجمع بين مطالب الروح والجسد ، وتقيم امر الدنيا والدين ، كما هدى اليه الكتاب المبين ، والمنار هو لسان حال هذا الحزب ، الذي يزداد أهله نموا في الارض ، وقد وفقهم الله في عام الرشد لتأسيس دار الدعوة والارشاد ، وستفتح ابوابها لجميع المسلمين من جميع العناصر والبلاد ، ويتلو لسان الحال على رؤس الاشهاد ، (ياقوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد * فستذكرون ما أقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد)

منشئ المنار ومحرره
محمد رشيد رضا الحسيني
ناظر دار الدعوة والارشاد بمصر